الحقيقة والكلب

- الحقيقة والكلب.
- الصنف: رواية.
- المؤلف: مهند عبدعلي عيسى.
- الطبعة الاولى لسنة ٢٠١٩.
- رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد(١٢٤٠) لسنة ٢٠١٩.
- الناشر: دار ومكتبة اوراق ودار ومكتبة كريم.
- بغداد – شارع المتنبي– بناية مصرف الرشيد.
- الهاتف:٠٧٧٠٥٣٤٨٣٧٧–٠٧٨١١٩٤٦٥٩٥

حقوق الطبع محفوظة

لا يجوز نشر اي جزء من هذا الكتاب او تخزين مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي نحو أو بأي طريقة سواء كانت الكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو بالتسجيل أو بخلاف ذلك، الا بموافقة كتابية من المؤلف أو الناشر.

مهند عبد علي

رواية

الحقيقة والكلب

كيف لم أدرك أننا نُفسد الكبار بطاعتنا العمياء لهم كما نُفسد الصغار بذلك ؟!

لا يحتاج العمل الجيد لتقييم أحد لينجح ، فهو ناجح بذاته وقبل أن يُدرك الناس ذلك ...

مهند عبدعلي

المقدمة

كروايتيَ السابقتينِ، جاءتني فكرة هذه الرواية وانا جالس في السيارة ،اثناء طريق العودة الى البيت، فهذا هو الوقت المثالي لي للتفكير الدقيق ودون أن يُخرجني أي أحد من عالم خياليَ الخاص.. فكل راكبٍ مشغول بنفسه ، مابين نائم ومتصفح لهاتفه و....

وما أن دخلتُ البيت وتناولت غدائي ... حتى تناولتُ قلمي وراح فكري يُلهمه ما يَسطره من سطور تلو الاخرى ....

فكانت هذه الرواية ... وكل ما أرجوه منها ومن اختيها (يعقوب وإناء الوركاء) و(تخيل أنك أحدهم) هو أن تكون منصة لنشر افكاري الواقعية واعتقاداتي الشخصية بين القراء.....

فهذه الرواية القصيرة والعميقة جداً ... والتي تناولت مواضيع اجتماعية عديدة ... اتممتها في سبعة ايام فقط حيث بدأتُ بكتابتها بتاريخ ٢٦ / ٢ حتى ٤ / ٣ / ٢٠١٩ .

مهند عبدعلي

٢١ / ٣ / ٢٠١٩

*

لاتحزن، أنت معتاد على هذا، متشبع بالصدمات، بالآهات، بإستغلال طيبتك حتى نخاع عظمك .

رغم ذلك فإن هذه الصدمة هي الأوجع بل هي الضربة الاقوى لك ، ذلك أن من ارتكبها هم الاقرب ، ولم تكن تتوقعها منهم يوما ، فلم تكن تحسبهم إلا السلام لك وقد اضحوا عكس ذلك تماما .

لا اعلم كيف انخدعتُ بهم وعلى مر تلك السنين الطويلة الماضية ، كيف لم انتبه إلا أنهم قد يقدمون على فعل ابشع من هذا بيَ ! وانا الذي لا اخدع باقوال البشر حين ارى افعالهم الظالمة بأم عيني .

كيف لم اتوقع ذلك ؟! ولم اتعظ ؟!
بل كيف بقيت اخدعُ نفسي اكثر واكثر ؟!
فهذه هي حقيقتهم التي تغافلت عنها !
كيف لم اعاتبهم واجادلهم ؟!!
كيف لم افارقهم من قبل ؟! كيف كيف ؟؟
وبعد أن لقيتُ منهم فيما سبق،الأذى الكثير....

أنا المَلوم في ذلك، فقد طاوعتهم في كل شئ...ولي نصيب في طُغيانهم.. فكيف لم أدرك أننا نُفسد الكبار بطاعتنا العمياء لهم كما نُفسد الصغار بذلك ؟!

لاتخف، فلست وحدك وإن كنت وحدك ، فمعك نفسك وقلبك ، معك الله وإن تخلى الجميع عنك .

بل الاسلم والاجدر بك أن تكون وحدك، فلقد رأيتَ من اكثر الناس مالا يحكى ، ورأيت من اهلك مالايصدق حتى هذه اللحظة .

هذا هو حلمك، وهذا ماتمنيته أبداً، أليست العزلة وسيلتك والحكمة مبتغاك والسلام اقصى طموحك في هذه الحياة التافهة لاغير؟

صحيح انك كنت تود وتتوق للعزلة دوماً لكن وانت في قوتك في غاية نشاطك وعافيتك...

في صحتك ! في صحتك!

أين هي صحتك ؟!

وانت العليل منذ أشهر

انت الدمية يقلبونها كيفما شاؤوا !

انت الفأرة التي يجربون عليها تجاربهم !

والذليل والمسكين بأعين من يراك !

لا تكترث ولا تتعجب من فعلهم هذا ، فحالهم حال الكثير من الاخوة والاخوات والذين يجمعهم ببعض بطاقة وطنية تعريفية ليس إلا .

حالهم حال اغلب البشر يتملقون لمن يملك المال،علة يرمي لهم ولو القليل منه .

كانوا يتملقون لي– قبل ان امرض – ويعرضون علي مساعداتهم اللفظية الكاذبة ونفاقهم بإتقان...

لكن ميولهم تمادت اكثر من الاستفادة مني بشكل تدريجي ممل، الى درجة التفكير بل ومحاولة القضاء عليَّ ، والحصول على كل مالديَّ بعد أن اصبتُ بالمرض ...

ولو حاولتُ الان إسترجاع ذكريات السنين الماضية ... لوجدتُ أن أعظم المصائب واكثر المُشكلات كانت بسبب والديَّ وأخويَّ وأختيَّ إضافة الى الاقارب...

**

دعنــي الان مــن مكيـدة اولئـك المكـرة ، والتــي تمـت بمباركـة ابـي وامـي وهـذا هـو الامـر الـذي مازلـتُ لا اسـتوعبه حتى اللحظة !!

فـلا بُـد أن افكـر الان بحـالي المأسـاوي ، فأنـا فـي وضـع يُبكـي من لايبكيه اصعب الامور وجعا.

لامفر لـي من محاولـة إسناد رأسـي وظهري الـى جذع النخلـة التي جنبي، والتي ارى سعفها الطويل الجميل ممتداً فوقي، كـي اتمكن ولو مجرد التخمين من معرفة في أي ناحية الان ارقد .

سـأحاول جهدي فعل هذا، سـأقوم بتحريك جميـع اصـابعي ثم ساقيَّ ويديَّ .

تحركي يا اصابعي تحركي ارجوك ...

هيا ، لابد أن تتحركي ....

لابد أن تستعيدي قوتكِ من جديد ....

استرجعي ذكرياتكِ المجيدة ....

نعم اكثر واكثر تحركي وابقي هكذا ....
فهذه اولى بشائر محاولتي السير مجدداً .....
وان كانت حركتها بطيئة ضعيفة...
إلا انني سأستمر بتحريكها حتى تتقوى اكثر واكثر...

أما الان فاظنني مستعد لبدء محاولة تحريك ساقيَّ وان كنت اطلب الصعب العسير ، لكن لاسبيل لديَّ سوى المحاولة والمحاولة حتى انجح .....

سأضخ فيهما وبكل ما اوتيت من قوة ، كل ايعازاتي العصبية كل املي وكل ثقتي بالله ...

هيا ايتها الساقان ، يامن حملتماني ما لا يعد من المرات والى اماكن شتى ...
ارجعا لقوتكما السابقة .....
كونا لي اختين تضرب الامثال بطيبتهما ...
لا كأختيَّ المخادعتين القاسيتين .....

اتوسل اليكما ، ولو حركة قليلة ضعيفة .....
فهي لي كنسمة ريح في ظهيرة تموز مقرف ...
وهي لي كإنارة البرق في ظلمة السماء.
وكفرحة طير نجا من مخالب صقر خاطف.

الحمد لله ، أنا مدين لكما بالكثير...
فهذه الحركات وإن كانت بسيطة ، إلا انها ستساعدني على فعل ما اريد لاحقا .

سأرتاح الان قليلاً ثم اعاود بعدها محاولة تحريك يديَّ ، علّني بعد ذلك استطيع اسناد نفسي الى النخلة .

***

تشجع ، تشجع ، فالحياة تتطلب منا دوماً أن نكون صابرين صلدين ، أن نلوي الصعاب وإن كانت هي من تلوينا احياناً.

سأستعيدُ قوتي وصلابتي وإن لوتتي الصعاب الف مرة ، فهذا هو الحال الطبيعي للدنيا لكن غيري لم يتكيف معها بعد ، لم يدركها حقاً بعد .

هيا، هيا، لامجال للتأخير أو الكسل ....

إبعث في يديك القوة مجدداً..

صلهما بكهرباء الحياة ...

مدهما بالحياة الكامنة من الارض التي تحتهما...

أليست الارض حياتنا، وحياتنا بأسرها الارض ؟

وهل لدينا غيركِ في حياتنا أو بعد مماتنا ؟

أم هل هنالك اجمل منكِ ؟

حتى القمر حين يكتمل بدراً رائعاً لايضاهي جمالكِ وروعتكِ .
حتى الشمس حين تأفل غاربة لاتضاهي منظراً من مناظركِ الخلابة .

أيتها الارض الطيبة، أيتها الام الحقيقية، يامن انجبتِ لنا كل شيء على سطحك الفسيح، يامن حويتِ داخلك الكنوز العظيمة الكثيرة .
مُديني بعطفكِ، بصلابتكِ وقوتكِ، بالامل، بالحياة ، مُديني بالحركة ارجوكِ .

واخيراً تحركت يا يديَّ يا ذراعيَّ... لطالما كنت اتذكر حركتكما طيلة تلك الاشهر المضنية العليلة، اتذكر نشاطكما الدائم قبل مرضي .

وحين ظن اهلي انني لن اتعافى من جديد ، حيث تركوني في سرير من اسرة تلك المستشفى البائسة.. ولم يقوموا بزيارتي سوى مرة واحدة طيلة تلك الاشهر!

أي اهل انتم ؟!
وأي نماذج مخيفة اصبحتم ؟!
قد ابديتم اختلافاً كبيراً وبوناً شاسعاً عن غيركم من الاهل ! .

ولعل هنالك الكثيرين كحالي أو في وضع اسوء من وضعي .
بل لعل هنالك اهلاً اسوء منكم ؟!
فلقد رأيت قبل مرضي – اثناء مراجعتي للمستشفيات سابقاً – بل وحتى في التلفاز، العديد العديد من المرضى والذين تخلى جميع الاهل عنهم، بعد ان رأوهم عاجزين وقد فقدوا الامل في شفائهم .

هل الحقيقة اذاً أن عدم وجود الاهل للشخص يساوي وجود الاهل للشخص؟!!

والمعادلة تصبح وجودهم وعدم وجودهم ذات الامر . وان كنت لا اجدهم ولا يجدونني حين الشدة والعجز فما فائدة انتمائي لهم وانتمائهم لي .

اظن أن الوقت جيد ومناسب لفعل ماتريد، هيا فالوقت يمضي ، ابدأ الان بتحريك ما تستطيع من جسدك، الاصابع ، الاطراف....

استمر بهذه الحركات ...

فمهما كانت بسيطة وبطيئة إلا انها حركات غاية في الاهمية فهي مقدمة النجاح ...

حرك جسدك بالكامل، ازحف، تابع ذلك .....

المهم تابع تقدمك ... تابع زحفك ....

ها انت وصلت ونجحت في إسناد ظهرك ورأسك على جذع النخلة ...

ابتسم الآن وافرح .

فأنت تهوى ابتسامات النصر، هي تبعث فيك املاً جديداً وطاقة كامنة نحو المواصلة والاستمرار قدماً نحو أهدافك ..

مـا اجمـل المنظـر امـامي، ثـلاث نخـلات رائعـات متوسـطات الطول، والاعذاق المليئة بالتمر متدليات كالثريات .

وهذه السدرة الكبيرة.. كم هي جميلة ، قد اوحت لـي بقوة يميني – كسـابق عهـدها – بوجودهـا ناحيـة اليمـين، وفيهـا مـن النبـق الكثير، وما تساقط منه على الارض كثير ايضا .

أما النخل الذي ساد جهة اليسار وقد خـلا جميعه من التمر، فقد ذكرني بعقول اغلبية البشر الفارغة ....

****

إنها الحادية عشرة صباحاً، الطقس مُعتدل الحرارة، الغيوم في السماء يتبع بعضها بعضاً بشكل منتظم بطئ، والنسمات الباردة والتي تهب بين الحين والآخر تبعث فيَّ الامل كلما ضعف .

هذه هي الاجواء في تشرين الاول كالعادة ، نودع فيه الحر المقيت قليلاً، ونسبق البرد المزعج في كانون الثاني .

لاسبيل لمعرفة في أي ناحية أنا ؟
لابد أن تكون ناحية من نواحي بغداد..
لم يستطع ذلك السائق أن يأخذني خارجها .
فقد خشيَ أن يفتضح امره وهو يحملني بسيارته في المقعد الخلفي حيث كنتُ اتمدد على طول تلك المقاعد...

إلا انني لست متعجباً من فعله، لأن من امره واعطاه المال لتنفيذ مهمته هم اهلي !!

لقد فَضح امركم وامر الممرض وامره ايضاً بعد أن اعطاني حبة الدواء تلك والتي ظن انني سأنام بعد ابتلاعها فوراً .

أنا اذكر جيداً محاولتي بصقها داخل قميصي وقد نجحت في ذلك، ودون أن يشعر.
كان الشك يُراودني بعد الحاحه عليَ اخذ تلك الحبة مدعياً انها مفيدة جداً لصحتي .

لكن مع كل مخاوفي هذه لم استطع فعل شيء له ...

كم سألني مراراً ونحن منطلقان في سيارته منذ لحظات بينما هو يقودها ببطئ.. هل تشعر بدوار ونعاس أجبني ؟
وتظاهرتُ عندها بالنعاس الشديد ...
واطبقتُ جفني مستسلماً لما يفرحه...

ولم ار افضل من ادعائي النوم... عليَّ أن اعلمَ ولو قليلاً ما ينوي فعله . فلربما قام باتصال هاتفي مما يفضح امره، فأنتهز بعد ذلك فرصة وقوفنا امام أي سيطرة للتفتيش، لأصرخ عالياً أنني مختطف .

كانت تلك خطتي في باديء الامر.. واذكر لما غيرتها لاحقاً وآثرتُ السكوت تماماً، بعد أن سمعتُ حديثه مع نفسه، كأنه يُخاطبني بعد أن ظنني ابحرتُ في عالم الاحلام :

مسكين انت ايها المشلول، فأنت بائس حقاً.
مرضك الذي سبب لك الشلل قد اخذ نصيبه من جسدك، والان اهلك يزيدون عليك الالم والفاجعة اضعافاً، إلا انك لاتعلم بأمرهم والافضل لك حقاً أن لاتعلم من الامر شيئاً .

حتى الممرض المسؤول ماكان اسهل رشوته، لكنه والحق يقال،لايعلمُ ما خُطط لك، وقد سهل لنا اخراجك من المستشفى.

من يتصور ان اهلك وبدل أن يقوموا بمساعدتك في عجزك هذا! يعمدون الى التخطيط للتخلص منك! وأن يبدو امر مقتلك موتاً طبيعياً ولا مجال للشك فيه!

الحمد لله أن ليس لي اهل مثل اهلك...
أي اهل مثلكم اذ تطلبون مني أن اترك ابنكم العليل في أي ناحية مهجورة ليلقى حتفه خلال ايام ؟! فإن لم يكن ذلك بسبب كلاب تنهشه فبمرضه وجسده الهزيل .

لكنني سأقوم بوضعك في أي ناحية ارى فيها نخلاً وزرعاً قليلاً، وان كنتُ اودُ أن تموت وبأسرع وقت ممكن، إلا أنني لا استطيع أن اتركك في مكان فيه نفايات.. كما طُلب مني ذلك.

وكل ظني بل اعتقادي أنك ميت، مادمتَ باقٍ وحدك بمرضك وعجزك ودون أي دواء أو طعام أو شراب....

فمحال انك ستتمكن من السير يوماً، فقد اخبرني اخوك أنك مصاب بمرض سبب لك الشلل في جميع اطرافك، وستسوء حالتك يوماً بعد يوم حتى تموت بعدها.

ولكنهم يتوقعون كذلك انه قد يمد الله عمرك سنين طويلة .. فرأوا أن يستعجلوا الموت لك لترتاح مما انت فيه، وليستفيدوا مما سيبقى لهم من مالك .

ورغم ان والديك كانت تفوح منهما رائحة المكر وحُب المال إلا انهما كانا صادقين في دعواتهما لك بالموت السريع لكي تتخلص من الذل الذي انت فيه .

نعم لقد الححتُ على اخيك أن اراهما بعد أن قال لي أن جميع اهلك على علم بالخطة، وقد كان صادقاً ايضاً .

امر عجيب حقاً ! ومعادلة غريبة !
لكنني التمسُ لهم العذر فيما اتفقوا عليه، فأنت كالميت وان كنتَ حياً.

المهم انني حصلت على الدفعة الاولى من المال،أما الدفعة الثانية منه فبعد اتمام مهمتي معك الان .

إنها سيطرة تفتيش مزعجة، فهنا يُدققون اكثر من غيرهم على أي امر مريب، اتمنى أن تسير الامور على مايرام.

- من هذا الذي معك في الخلف ؟
- إنه مريض، مصاب بالشلل .
- وماذا يفعل معك، هل انت اخوه أو أحد اقاربه أم ماذا؟
- لا انا مجرد سائق، لي معرفة بأحد اخوته وقد طلب مني احضاره من المستشفى التي كان يرقد فيها ..
- ولِمَ ذلك .
- لقد مر زمن على رقوده في المستشفى وقد بدأ يتعافى الان، فرأوا اهله أن يعتنوا به بأنفسهم، فأنت تعلم الاذى الكبير المتسبب برقود احد افراد العائلة في مستشفى، أما إن كان في البيت ومع اهله فبالإمكان الامور ان تسهل بكثير .
- حسنا، حسنا دعني ارى اوراق خروجه من المستشفى.
- نعم، تفضل .
- لكن لِمَ هو هكذا أهو نائم أم فاقد الوعي .

- إن الذي فيه من الألم لكثير جداً مما يجعله شبه واعي في عالمنا .
- فهمت، فهمت،العافية والصحة له....
- شكراً لك سيدي...

لقد ايقنتُ بصدق حديثك ايها السائق.. خصوصاً بعدما هاتفك اخي وبعد أن قمتَ بتشغيل مكبر الصوت.

- نعم، اهلاً بك .
- أردتُ الاطمئنان على سير الخطة، هل اخرجته من المستشفى وتركته الان وفق اتفاقنا .
- اكاد انجز المهمة، اصبر قليلاً .
- حسناً، اتصل بي ريثما تتركه، فالجميع هنا ينتظر سماع ذلك، بل ويتوق للخبر الاجمل حين تُبلغنا الشرطة بوفاته بعد مدة على تركه، المهم لاتغير أياً من اقوالك حين يستدعونك بعدها، فهم سيفعلون ذلك وكما هو متوقع .

- نعم ، لا تشغل بالك فسأخبرهم انه واثناء رجوعي به الى حيث منزل اهله، بدأ يتقيأ كثيراً واراد أن يستنشق الهواء العليل... والحَ عليّ ان انزله قرب أي مكان فيه اشجار... فهذه الاجواء تعمل على تحسين صحته كما قال لي، بعدها سأسرد لهم رفضهُ العودة معي مجدداً لإرتياحه لمنظر الطبيعة والاشجار فقد حُرم رؤية ذلك منذ اشهر، فعمدتُ الى اخبار اهله، والاتيان بأخيه الى المكان الذي تركتهُ فيه وعند وصولنا لم نجد أي اثر له، وكلانا انا وانت سيشهد للآخر، وبالتأكيد سأدلهم على موضع اخر.. غير الذي سأتركه فيه بعد قليل، وبعد أن تقوم انت وباقي اهلك بابلاغ السلطات عن اختفائه بعد انقضاء اسبوع لكي نضمن موته .
- احسنت، احسنت .
- المهم ان تُحضّر الدفعة الثانية من المال ريثما انهي المهمة .
- لاتقلق، انها جاهزة .

كم كنتُ خائفاً عندما قام السائق بانزالي وحملي حتى وضعني جنب هذه النخلة، وكل ظنه انني سأموت هنا لا محالة .

وحاولتُ جاهداً اظهار انني لازلتُ نائماً ولستُ مدركاً لشيء قط، وخشيتُ أن يقتلني إن علم انني كنتُ يقظاً وقد سمعتُ حديثه كاملاً .

ولازلتُ اذكر جملته التي قالها لي وانطلق بسيارته بعدها مسرعاً : وداعاً ايها الميت، الموت افضل لك من العيش وسط هذه الذئاب الخطرة .

لقد آلمتني هذه الجملة كثيراً ، مع انه احسن الصنع إذ تركني ها هنا، في مكان هادئ... فيه نخل وسدرة وعشب....

لكنني سأحاول استرجاع قوتي وعافيتي وارحل عن هذا المكان وإن احببته حقاً .

فقد يأتي اخي مع السائق بعد ايام ليطمئنوا على موتي، فلربما يُخبر السائق اخي اين تركني إذا مرت مدة طويلة ولم يسمعوا اخباراً عن وفاتي .

هـم لـم يدرسـوا حـالتي ومرضـي بشـكل تفصـيلي، واعتقدوا انني سأظل مشلولاً ابد الدهر.

ولايعلمون ان الشلل الذي اصابني مؤقت وعن قريب سأشفى ويزول عني....

فهنالك الكثير من الحالات التي اصيبت مثلي بمرض(**غيلان بري**) وقد فارقهم الشلل بعد مرور اشهر على الاصابة .

وافترض انهم كانوا فاقدي الامل، أما انا فالامل يجري فيَّ دوماً... وإن فارقني الامل لحظة لازمني شهوراً .

وقد مضت خمسة اشهر وبضعة ايام على اصابتي به، ولقد كنتُ من المحظوظين الّذين لم يتأثر جهازهم التنفسي بمضاعفات هذا المرض، وكل ما ارجوه أن اتمكن من المشي شيئاً فشيئاً .

*

نُباح كلبٍ ، هذا ماكان ينقص وضعي سوءاً ... لا لستُ مستعداً لمواجهة كلب الان... وحتى لو كنتُ معافى لما واجهته....

يا الهي كل ما اتمناه أن يكون كلباً هادئاً لا شرساً عدائياً ...

يُقال " ان الكلاب تشم رائحة الخوف فتهجم عندها " لا اعلم مدى صحة ذلك...

إلا انني اعتقد ايضاً ان الكلاب قد تشم وتشعر باللطف والود فتصبح عندها ودودة ولا تهجم !

لكن اعتقادي الاكبر انه لايوجد شيء مؤكد في الدنيا .

أستظل واقفاً هكذا ؟!

الى ماذا تنظر؟! وفيما تُحدق ؟!

الى الوهن والعجز والمرض....

وفيما تفكر ؟!

بالقتل، بالفتك، باللحم، بالعظم...

إذا كان البشر يظلم ويلتذ بعضهم بإيذاء بعض، فهل أرجو الانصاف والود منك ؟!

وإذا كان البشر يَعزِفون عن مساعدة بعضهم البعض، فهل أرجو العون منك؟!

وإن كان البشر جاحدين لمن يُحسن اليهم دوماً فهل اتوقع احسانك اليَ، وانا لم اساعدك، ولمْ ارك إلا الساعة ؟

اتراك ايها الكلب فهمتَ كلامي معك ؟!

اتشعر انني لستُ نداً لك ؟ أو لن اكون عدواً لك ؟

ورأيتَ عجزي وودي....

فوددتني! وتقدمت نحوي!

اترغب أن نكون صديقين ؟!!

لذا اقتربتَ اكثر واكثر.... ولم تكشر عن انيابك ! ولم ترفع ذيلك عالياً! ولم يقف الشعر الذي اعلى ظهرك ! .
وجلستَ جنبي حتى لامست يداي واصابعي شعر جسدك!

يا لظنيَ السيء بك، وبالخطأي الكبير بحقك.....
اناس كثيرون آذوني وكنتُ احسنُ الظن بهم ! واخرون احسنتُ اليهم وقد ردوه ظلماً وعدواناً لي !.
وأما انت والذي لم ار منه إلا اللطف والعطف واللين فقد اسأت فهمك...

سامحني ايها الكلب، وكن ليَ خير عون واعدك أن لن اتركك ابداً .
كيف نسيتُ خِصالك ونُبلك الرفيع ؟!
والكلاب معروفة ابداً بخيرة الخصال واسماها...

وكأنك تفهم ما اقوله لك ؟!
وكأنك قد بُعثت وارسلت لنجدتي ؟!
وكيف لا، والله يرسل لمن يُساعد الغير من يساعده إلا انه ارسلك ولم يُرسل اليَ أي بشر ؟!
إن ربي حكيم أبداً ... وهو اعلم بما ومن احتاج !

ياترى في أي ارضٍ ولدت ؟
ومن أي ناحية أقبلت ؟
هل كنت وحدك من قبل ؟ أم الان اصبحتَ وحدك..
وهل ارادت الكلاب النيل منك يوماً ما ؟
أم البشر هم من حاولوا إيذاءك ؟
أتراك تعلم مرضي وما اعاني ؟
فاراك تُحاول تحريكي بسحبك لثيابي ودفعك لأرجلي !
أم تراك تعلم ما ينتظرنا ها هنا، فتود أن نترك هذا المكان ونرحل عنه بعيداً .
ولعلك تتنبأ بمكائد البشر كما " تشعر بالزلازل والكوارث قبل وقوعها " !

اهدأ ايها الكلب اهدأ .
اعدُك أني سأمشي.. لا ينشغل بالك بي .
واعاهدك أن اظل صديقاً وفياً لك، أما انت فلا داعي لأن تُعاهدني فأنت معروف بالوفاء منذ عصور .

اراكَ تجمع وتدفع لي التمر والنبق كي آكله ! .
وكأنك علمتَ انني لمْ اتناول شيئاً منذ الصباح الباكر ؟!
من علمك الحنان والتفكير بالغير ؟!
وهل تدري أن البشر لا يبالون بمن هو جائع إن اشبعوا بطونهم ؟!

لأجلكَ سأتناولُ ماجمعتَ لي، وان كنتُ قبل اليوم استقذر الكلاب، واعذرني لصراحتي لكن مُحال اخدعك، ما ألذ واطيب ما جمعت لي !
ولئن كانت ارجلك وسخة بمقايّسنا إلا ان داخلك نظيف طاهر، على عكس اغلب البشر الممتلئين بقذارة الصفات رغم نظافة ثيابهم وايديهم .
ارتح لجنبي قليلاً وسأرتاح معك نصف ساعة ايضاً .

**

الساعة هي الواحدة مساءً ، لقد مرت ساعات على مكوثي ها هنا ، لقد كان اصراري كبيراً على أن لا اخلع ساعتي طوال فترة رقودي في المستشفى

فالوقت هام عندي ايها الكلب اكثر مما يتوقع اغلب البشر والذين الساعات تلو الساعات والايام تلو الايام والاشهر تلو الاشهر يقضونها تسكعاً ولهواً ليس إلا .

أيها الكلب اليافع ، أتراك إن كنت كلباً عجوزاً ، كنتَ اكثر هيبة وحكمة مما انت عليه الآن ؟
لا، انا لا اعتقد ذلك قطعاً .

أما نحن معشر البشر فقد خدعونا ولفترة طويلة ولا زالوا يخدعون الكثيرين بتلك الفرضية البلهاء.. فلستُ ادري أي علاقة بين تقدمنا بالعمر وبين اكتساب الحكمة ؟!

وهل تعتقد أن الذي بُنيَ اساسه بإعوجاج .... وأكمل بنفسه بُنيان شبابه على نفس المسار.... بإستطاعته أن يُصبح مستقيماً وحكيماً في كِبره.. إن لم يفطن لحالهِ ويتأمل كل شيء بحكمة..

إن أكذوبات الكبار على الصغار والشباب لن تنتهي يوماً ، يُقنعونهم انهم افهم واحكم منهم دوماً ، لتُصبح مقاليد الامور بأيديهم....
وهذا من الامور الغريبة....
فكم من شاب يافع افهم من شيخٍ هرم ؟!

فأي حكمة لكثير من التصرفات والاقوال السخيفة والتي يقترفها اولئك الكبار والطاعنون في السن ايضاً .

إن تلــك الافكــار الحمقــاء كفكــرة بــراءة الاطفــال ؟! الاكذوبة الاكثر ضحكاً من تلك .

إسمع أيها الكلب واصغِ : طفل في الحادية عشرة من عمره يؤدي طفلاً في التاسعة من عمره، حتى الطفل الذي يحبو يؤذي الطفل الذي يرضع، فجميع الاطفال إن احسوا ان الذي يواجهونه اصغر منهم عمراً آذوه حتماً ، أما إن كان اكبر منهم عمراً أو اقوى منهم خضعوا له .
أي براءة هذه بربك ايها الكلب .

أنا اشكر لك اصغائك التام فهذا ايضاً مما يفتقده معظم ابناء جنسي .

***

ما رأيك أيها الكلب والصديق الوفي، أن نبدأ بمحاولة تحريك جسدي اكثر واكثر، حتى اكون مستعداً للمشي بعدها.
تقدم اكثر وادفع رجليَّ الى الامام هيا هيا ... لا ليس بقوة ، ادفع ببطئ هيا...
نعم هكذا أفضل ، ادفعها ببطئ ....
اجل أحسنت، ادفع مرة أخرى، وأخرى ....
المهم انها تتحرك وفي أي اتجاه كان ..

سأقوم بتحريك ذراعيَّ قدر استطاعتي ايضاً .
ممتاز، مضت نصف ساعة ونحن نمارس تحريك جميع اطرافي، وبدأت اشعر القوة والثبات فيها ...

توقف الان ايها الكلب، يكفي هذا
دعني احاول بمفردي تحريك جميع اطرافي وجسدي.
الحمد لله انها تتحرك....
أنا متأكد ان وجودك جنبي زاد من عزيمتي واضاف الزيت الى مصباح املي.

لنسترح قليلاً ثم نُعاود فعل ذلك ولربما استطعت المشي بعدها..
وسأسرد لك ايها الكلب وفي عجالة اشياء بسيطة عني..
لكن لن اخبرك الان ماهو اسمي، فلستُ اعلم ماهو اسمك، ولكي نكون نحن الاثنين بلا اسماء... حتى اختار لك الاسم الذي يليقُ بك .

عمري هو اربعون عاماً، لدي أخوان اكبر مني وأختان اصغر مني، ابي وامي لازالا على قيد الحياة ، لستُ متزوجاً، اعمل في دار الوثائق والكتب ببغداد، مدير قسم فيها.
اكتب القصص والروايات، روايتي القادمة ستكون عني وعنك، سنتقاسم بطولتها بإنصاف .

أما من أمَر بأن أُترك وحدي لأموت فهم للأسف اهلي!
وأما الاصدقاء فليس لديَ صديق، وهل تعتقد أنه يوجد الان من يستحق أن نُسميه بالصديق ! إلا انت، فأنت الذي لاغدر فيه ولا خوف ولا حسد يُتوقع منه .

كم كان بودي أن اراك تتكلم ايها الكلب، فاعلم حالك بأكمله.
لكن شآءت الاقدار أن لا افهم نُباحك جيداً.... وإن كنتُ ادرك بعض تصرفاتك .
وجل اعتقادي انك تفهمني اكثر مما افهمك !

أيها الكلب اللطيف القوي، ما اجمل منظرك وابهاه واهيبه.
شعرك الابيض الجميل الناصع اشبه بصفاء قلبك.. يا صاحب القوائم الصلدة المتينة..
يامن شعرتُ بالراحة والأمان وانت جنبي ما لم اشعر به مع أي من الناس قط .

هلم بنا نعاود محاولتنا من جديد ، لعلي استطيع المشي ولو لخطوات يسيرة.

سأستعين بجذع النخلة، فاعتقد انني استطيع الوقوف الان .
ببطىء ببطىء ، يجب عليّ موازنة حركتي جيداً وإلا سقطت على الارض .
نعم، انك تنجح شيئاً فشيئاً...
واخيراً ها انت تقف...
لكني اشعر بألمٍ في ساقيَّ أيها الكلب، لذا الافضل أن اجلس الان .

لا ، لا مجال لأي تأخير، قم وانهض مجدداً....
هيا تشجع وقف ودون اسناد جسدك على الجذع ، هيا حاول ثانية و.....
اخيراً ها انت تقف لوحدك، وكأنك في سابق عهدك ...

****

الوقت يمضي... والساعة هي الخامسة مساءً ، لكنني اشعر بالتعب الشديد كأنني اجهدتُ نفسي كثيراً ، ومن الافضل لي أن اقوم بتأجيل فكرة تركي لهذا المكان الى يوم غد .

لستُ خائفاً من البقاء هنا، طالما انت جنبي ايها الكلب الرائع، وإن خانتني قوتي .

أتعلم ان اغلب الناس يُحبون الكلاب لوفائها لأصحابها... لكن المفارقة العظيمة ان البشر اغلبهم يغدرون ببعضهم البعض... ولا أمان حتى لمن يدّعي الوفاء والاخلاص بينهم..

أتعلم اننا السبب في خراب ودمار بيئتكم وتشريدكم وتجويعكم في كل بقاع هذه الارض المسكينة ، فحيث يوجد البشر يوجد الدمار للارض .

أتعلم كم نهر جففنا ؟
وكم غابة دمرنا ؟
واشجار قطعنا ؟
أتعلم ان كل بقعة ملوثة في الارض ؟ نحن من قام بتلويثها .
أتعلم كم من الحيوانات في البر والبحر قتلنا ؟

والمهزلة العظمى هي اننا فعلنا جميع ذلك بذريعة التطور والازدهار، كما يدَّعون اولئك الجهلة !

لا ، لا تخفض رأسك ايها الكلب بل ارفعه واستمع أيضاً، فأنا من يُفترض به ان يخفض رأسه خجلاً من افعال ابناء جنسه الشنعاء .

اتدري انني منزعج ومتألم دوماً لم آلت اليه الحياة على ارضنا الجميلة .
وكل ذلك نتيجة افعال البشر، البشر لاغير! فلولا تدخلاتهم في كل شيء على هذه الارض لما اختل في الارض شيء .

فجميع الحيوانات تأكل بقدر وتنام بقدر وتعمل بقدر وفق نظام دقيق....
حتى النباتات فهي تنمو وتستفيد من اشعة الشمس وتتكاثر بقدر....

إلا البشر الشرهون ... والذين لم ولن يقنعوا بوضعهم وحالهم عليها ، فتراهم يُجردون غاباتها ويطاردون بلا هوادة ماتضم من حيوانات متنوعة ! تراهم ينشؤون المصانع الكثيرة والتي تنفث سمها القاتل في البيئة ذاتها ! .
يستخرجون من الارض نفطها ليقتلوها به ببطىء!!

حتى في ليلهم مزعجون.. فهنالك من ينامون نهارهم ويعملون ليلهم، وكأن ضوضاء وازعاج الكثير منهم للحياة صباحاً لم يكفهم ليتمادى القسم الآخر الى سكون الليل فيعكروا صفوه وهدؤه....
وإن حاججتهم تذرعوا بذريعة العلم والعمل كالعادة.....

يـا ليـت لـم يهـبط (ابونـا ادم) مـن الجنـة الـى هـذه الارض الخلابة ....

يـا ليـت (ابانـا ادم) هبط الـى كوكـب اخـر مـن قبـل ، كوكـب تتعدم فيه الغابات والجبال والانهار والوديان ، كوكب ليس فيه من اشكال الحياة والجمال إلا القليل القليل، فنحن لا نستحق روعة وعطاء هذه الارض .

اراك حزيناً ايها الكلب، اكاد اشعر بدموعك في جفنيك إلا انها خافية .

لاتحزن يـا صـديقي الطيـب.... لاتحـزن لكـل ذلـك... وإن كـان ذلك محزناً حقاً...

دعنـي اقاسـي هذا الحزن وحدي فأنا من يجب عليه أن يحزن أكثـر، لِعلمـيَ ان عمـر الكـلاب قصـير... وهـو مـازادني حزنـاً والماً.

فكـم أود ان يطـول عمـرك وأن يُطيـل الله عمـري ايضـاً كـي اتمكن من مجازاتك ورد بعض احسانك الي...

لكـن هـذا هـو حـال الـدنيا يُسـارع فيهـا المـوت خطفـه للجيـدين ويترك في اغلب الاحيان السيئين الفاسدين يمرحون وقتاً طويلاً قبل مماتهم وللخالق في ذلك حكمة...

نعم قد عرفت الحضارات القديمة قدرك اكثر من هذه الاجيال " كان اهلها يعمدون الى تحنيط كلابهم إن ماتت تقديراً لمنزلة الكلب عندهم وان كانت هذه الطقوس هي في مصر القديمة ، ففـي الصـين ايضـاً كـانوا يعتبرونـك مقـدس لأنـك هديـة وهبـة السماء لهم " .

وكيف لايتم احترامك وتقدير خصالك وانت " تملك القدرة على قـراءة العقـول وقـراءة لغـة الاجسـام وغيـر ذلـك مـن الامـور العجيبة ،علاوة على وفائك لصاحبك مهما حدث " .

إنه البدر قد بدا متأنقاً ورائعاً كالعادة فالليلة هي إحدى " لياليه البيضاء " .
وهو الان يسمع بعض مآسي البشر على لسان احد ابنائهم .
ويرانا جالسين جنباً لجنب ولعله يغبطنا فهو وحيد في السماء وإن كانت النجوم حوله، لأنه لايملك صديقاً وفياً مثلما املك انا .

أتدري أنني في صغري لم احب الليل يوماً لكن ما إن كبرت حتى أحببتهُ كثيراً .. فظلام الليل يمنع الناس من معرفة بعضهم البعض تماماً ويعيق فضول الناس من التمادي....

فكم أكره الفضول لو تدري ... ؟

إعلم لو أنني املك القُدرة على اختراع شئ لأخترعتُ جهازاً قادراً على إستئصال الفضول من عُقول البشر ...
فهم يتسابقون لمعرفة خُصوصيات بعضهم البعض ...

والاموات المساكين ايضاً... لم يسلموا من فضولنا وهم عظام بالية في باطن هذه الارض..

فعلماؤنا لم يتركوهم وشأنهم.. حتى عالم الاثار يفني عمره في التطفل على الحياة المندثرة للموتى ....

أشكرك أيها البدر الكبير يامن ستسلينا وتحمينا وإن كنت في السماء..
وانت ايها الكلب ستكون الامان لنا هنا في الارض..
ومن خلق كل شيء سيكون الحافظ الاكبر دون ريب ..

دعنا الان نحاول النوم ، هذا إن استطعتُ النوم لساعة ، المهم أن نستيقظ باكراً جداً حتى احاول وبمساعدتك المشي .

*****

كانت ليلة رهيبة لم استطع النوم فيها إلا ساعتين فقط، النمل، الحشرات، الاصوات التي تعلو وتخفت كل حين... ازاحت النعاس عن عيني .
أما انت ايها الكلب فمعتاد على هذا كله...

آه لو تعلم كم انا عطشان، فلم اشرب ماءً منذ البارحة .
هل انت عطشان مثلي، أم ماذا .
مابك تومیء إليَ برأسك...
اين تذهب، لا ترحل...
ما الذي خطر ببالك ابق هنا، ارجع..
ما اسرعك في الركض... لا ادري ماتنوي فعله...

لكن عليَّ الان تناول قطع من التمر حتى اقوى على الحركة والوقوف ثم المشي مجدداً....
سأعاود تحريك جميع اطرافي ومفاصلي ....

إنها الان افضل بكثير ولابد لها أن تكون كذلك بعد التمرينات المستمرة لها منذ صباح البارحة..

هيا قف الان وابدأ الحركة ...

اجلس ثم قف...

تقدم ملموس نحو النجاح ....

ابدأ الخطوات تلو الاخرى ، هيا حاول السيطرة كي لاتقع.

اخطو هيا اخطو...

انك تخطو.. انك تخطو وتخطو...

إنه يوم جميل متشبع بالامل.....

لكن اين انت ايها الكلب، اراك تأخرت، لم تركتني فجأة ؟!

ها هو ذا ، انه مقبل نحوي وبسرعة لكن ماذا يحمل في فمه ؟

قنينة ماء ؟!

من أين اتيت بقنينة الماء هذه ؟!

مهلاً إن نصفها فارغ!

فهمتُ... القضية واضحة ... فهذه عادة ابناء بلدي يرمون قناني الماء وما يشاؤون من نوافذ السيارات وهي تسير.....

يا لها من فكرة جيدة، كيف خطرت ببالك ؟!

كم انت مفكر ايها الكلب، انت قادر على الاستفادة حتى من اخطاءنا ؟!

احسنت، احسنت ...

وانت هل شربت أم لا ؟

ارجوك هاك اشرب...

لماذا ترجع الى الخلف ؟

فهمتُ سأشرب انا، ثم سأسقيك بعدها....

كم تعبتَ من اجلي ؟

وكم ياترى بقيتَ تبحث حتى عثرت على قنينة الماء هذه .

أتعلمُ انني خطوت خطوات... بينما كنتَ غائباً تجلب الماء .

انها بشرى كبيرة....

لعلي استطيع المشي والصمود اكثر فأكثر حتى الشارع الرئيسي حيث تمر العجلات من هنالك.

بعدها نستأجر سيارة اجرة الى حيث بيتي، حتى ارتب وضعي وبأقصى سرعة ممكنة، وبالتأكيد ستكون انت معي وجنبي حيث اكون .

******

هيا لقد حان الوقت... سأخطو الخطوات تلو الاخرى شيئاً فشيئاً وبمساندتك طبعاً .

وداعاً أيتها السعفات الحنونات الحانيات... وداعاً ايتها النخلات الرائعات... يامن استمديتُ قوتي من تمركن ولولاه لما كنتُ استطيع حتى الكلام ...

أيتها الارض الجليلة يامن كنتِ ولا زلتِ لي الطاقة والوسادة والسرير... يامن اعطيتني السكون والسلام... محبتي وامتناني لكِ .

ايتها السدرة العظيمة يامن غذيتني بثمركِ الطيب واحطتني بعطفكِ إقبلي شكري الجزيل .

أما انت ايها الكلب الوفي فأنت معي... يامن لازلت لي القوة والسند .

ايها الخالق العظيم الحمد والشكر لك ، يامن تقدر على فعل كل شئ ، أتمم امري على خير ...

هيا الان نمضي عسى أن تستمر خطواتي بالنجاح فتوصلني حيث اريد...
ما اجمل المشي معك ..
فما اجمل أن يمشي المرء مع من يعتقد انه سيبقى يواصل السير معه حتى النهاية...

وما اروع منظر شروق الشمس ودفء حرارة اشعتها صباحاً وانارتها لنواحي الارض الفسيحة .

إعلم ايها الكلب انني سأقوم ببيع بيتي بأقل من سعره الحالي لصاحب العقارات القريب منا حالما اصل هناك .
لكي احصل على المال بسرعة والذي سأشتري به بيتاً آخر وفي أي دولة ، المهم انني لن ابقى في بلدي مادام من حاولوا قتلي فيه .

فجواز سفري جاهز، ولدي من المال الان ما سأُسير به امري حتى حين .

كل ذلك بعد ان اقوم بعمل وكالة لصاحبي المحامي تخوله من اكمال معاملة بيع البيت .

وسأعيش حيث سأسافر من راتبي التقاعدي- فلقد قبلوا تقاعدي فوراً مع بداية مرضي – وفي منطقة زراعية حيث سأمارس الزراعة هنالك....
المهم انني سأبدأ حياتي من جديد وبطريقة مختلفة....
وحيث سنكون معاً ، أنا وانت يا **أنيس** .
نعم ، فهذا هو اسمك ، وارجو أن يعجبك ، وان لم يكن باختيارك...
وها أنا اظلمك ...
كما يظلم عندنا جميع الآباء والأمهات ابنائهم حين يسمونهم..
سامحني ، فليس لي سوى أن اسميك ...
وكأن نباحك الهادئ هذا ، دليل قبولك به ...

واثناء انقضاء اسابيع فقط... سيعلم اهلي بما قمتُ به طبعاً ، لكن بعد أن تكون اراضٍ شاسعة تفصل بيننا .

ولن تكون في ايديهم سوى رسالة صغيرة مني اكون قد بعثتها لهم **وهذا نصها :**

لن انتقم منكم لكن لن انسى فعلكم

المُرسل : يعقوب .

وهذا هو اسمي يا أنيس .